الفصل الثالث

الخصوبة والولادة

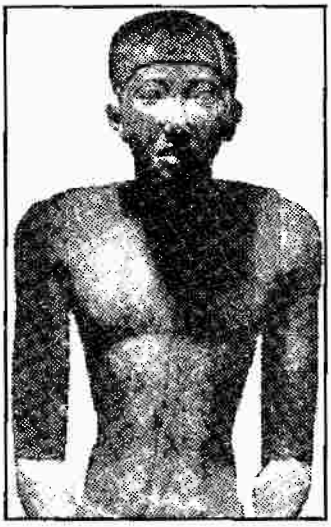

إمحوتب

تمثل الخصوبة أهمية قصوى لدى المصرى القديم وتعد الرغبة فى الإنجاب مطلبا حيويا لدى الكثيرين ومن هنا الاهتمام بالحمل والولادة والإخصاب ومنع الحمل أحيانا كما هو وارد فى معظم الحالات المدونة فى بردية اللاهون.

ووردت أهم المعلومات الخاصة بعملية الإنجاب من خلال بردية اللاهون أو كاهون وتحتوى البردية على وصفات للعديد من العقاقير التى تعتبر مقبولة نوعا ما طبقا لمفهومنا الحديث، فمعظم مكونات هذه الأدوية التركيبية من اللبن البقرى والزيوت والبلح والأعشاب والبخور... إلخ

وتركز البردية على العقم والإخصاب وقد قام جريفيس بترجمة محتوى هذه البردية وهو من دارسى علم الآثار بجامعة أكسفورد.

ويعد اهتمام الطبيب بالإخصاب والإنجاب ومتابعة حالات الحمل نابعا من أن الأسرة هى نواة المجتمع وصحة المرأة مطلب حيوى.

وتعد بردية كاهون، كتبت حوالى ١٩٠٠ ق. م التى تعرض حاليا فى متحف جامعة لندن، وتدور معظم حالات التشخيص بها حول التحركات الرحمية التى اعتبرها الطبيب أحيانا هستيرية نسبيا، وهى أهم مصدر للمعلومات المتصلة بالخصوبة والإنجاب، فاختبارات الخصوبة التى مارسها الطبيب المصرى مازالت هى الأساس المتبع للآن، إذ إن الطبيب يطلب من المريضة إدخال بعض فصوص الثوم أو البصل فى المهبل، فإذا أحست السيدة بطعمه فى فمها خلال اليوم التالى، فهى مؤهلة للإنجاب ولا يوجد لديها أى انسداد فى القنوات.

ومازال هذا المبدأ متبعا مع اختلاف طفيف فى التفاصيل. وترجع البردية للعام التاسع والعشرين من حكم أمنحتب الثالث ١٨٢٥ ق. م، وتدور حول الرائحة المنبعثة كما ورد مسبقا، والرائحة هى ما يحدد الأسلوب الأمثل لتخفيف آلام الحمل. واعتبر الطبيب تحركات الرحم هى المسؤول الأول عن الأمراض التى تصيبه وهذا ما نقله أبقراط فيما بعد.

وتناول الطبيب فى هذه البردية حالات مرضية وأعراضاً تصيب المرأة وأوجد لها المستحضرات اللازمة للشفاء منها إصابة المرأة بألم فى العنق يؤثر فى الرؤية، أو آلام تصيبها فى العانة والدبر وأعلى الفخذين، أو ألم الأسنان الناتج عن تهيج رحمى، ونقص الماء فى جسم المرأة الذى يؤدى إلى أوجاع تصيب كل أعضائها حتى تجاويف عينيها، والإفرازات الرحمية التى تؤثر فى القدمين والرجلين، وحالات الهيستيريا التى تصيب المرأة من شدة التقلصات الرحمية، كما عالج إصابات البول لأسباب متعددة لدى السيدة.

وأما اختبارات الخصوبة ونوع الجنين، فقد كانت تعتمد على بول السيدة الذى يوضع على بعض الحبوب والرمل، فإذا أثمر الشعير فإن المولود أنثى، أما إذا أثمر القمح، فالمولود ذكر، وإن لم يثمر أى منهما، فالسيدة موضع الاختبار ليست حاملا، وتعتبر هذه الممارسات الاختبارات الأولى فى التاريخ فى هذا المجال، وانتقلت هذه الطريقة إلى أوروبا خلال العصور الوسطى.

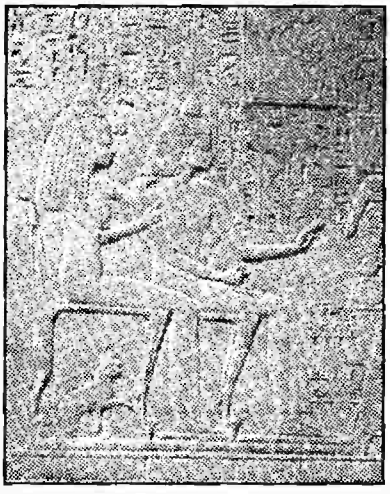

نقش من مقبرة مرى مرى، والقط الجالس أسفل المقعد هو رمز للخصوبة أو الرغبة فى الإنجاب لدى سكان دير المدينة العاملين فى البر الغربى فى بناء المقابر الملكية.

وقد ألم الطبيب المصرى بحالات لدى كل من الرجل والمرأة تمنع أحيانا عملية الإنجاب. فكان على المرأة الراغبة فى الحمل المرور فوق خليط ساخن من البخور والبلح والزيت والبيرة وتسهيل تخلخل الأبخرة داخل الرحم، وقد ثبت حديثا أن التعقيم يزيل أية عوائق داخل الجسم. وتذكر البردية كيفية التعرف إلى قدرة المرأة على الإنجاب بأن يوضع زيت طازج على العضو الأنثوى، ثم تلاحظ أوعية صدرها فإن كانت متوترة، فهذا انعكاس لقدرتها على الإنجاب، وإن كانت مسترخية، فهذا دليل على تأخرها فى الحمل.

وكانت السيدة المصرية على دراية بأساليب منع الحمل حيث تدخل موضعيا بعض المواد لتأجيل الإنجاب، كما أنها كانت تلجأ إلى أوراق السنط الذى ثبت حديثا غناها بحامض اللبنيك، وهو أحد مكونات الدش المهبلى، وتعددت الأساليب المعروفة والتى تتطابق مع العلم الحديث فى هذا المجال. فهذه المواد الطبيعية المستعملة هى ما يستخرج منها مكونات الدواء حاليا.

وكانت السيدة تخلط السنط بالحنظل والبلح المصحون والعسل وبعض البذور، وتعتبر هذه الوسيلة هى الأولى فى العالم لتنظيم النسل، وهو مبدأ طبى متبع إلى وقتنا الحالى بأساليب متنوعة. دونت هذه الوصفة فى بردية إيبرز.

وتذكر البردية وصفة أخرى لمنع الحمل وهى خلط مخلفات التمساح بالعسل واللبن البقرى.

أمـا فـي حالة آلام المعدة خلال فـترة الحمل، فللبن فائدة أخـرى إذا ما أضيف إلى حبوب الخروب المحونة.

وقد اهتم الطبيب المصرى بحالة أسـنان السيدة الحامل، مما يعكس درايته الكاملة بالظروف الصحية المصاحبة لفترة الحمل وآثارها فى الصحة العامة للمرأة.

وعلى صعيد آخر تذكر بردية كاهون حالة امرأة تشكو من ألم فى أسنانها وفكها ولا تستطيع فتـح فمها، فأوصى الطبيب باعتبارها حالة تهيج رحمـى وعليه فحقنة مهبلية مطلوبة فى هذه الحالة وحالات رحمية أخرى، كما أوردت البردية علاجا لرد الرحم لموضعه.

وذكرت البردية مرضا يحدث «تآكل فى الأنسجة» وهى إشارة إلى مرض السرطان الذى تعرف إليه الطبيب المصرى الذى حاول تهدئة الأورام الحميدة والخبيثة باستعمال زيت الخروع مضافا إليـه بعض العناصر الحيويـة الحيوانية للحد من الأورام: «إذا فحصت امـرأة تفرز إفرازا مائيا ورسبه يشبه الدم المتجلط فقل «إن ذلك نتيجة تآكل الرحم».

وقد ذكر الطبيب المصرى السرطان المرض الأكال بالرحم الذى يحدث قرحة أكالة فى رحمها، ووصف الطبيب حالة الرحم وصفا دقيقا بأن حدد ضخامة عنقه وفتحته والتقرح الذى أصابه...

وللولادة ممارسـات شـعبية هامة لها دلالتهـا وفوائدها العلمية السـليمة. فعند بدء أعراض الولادة، تتولى بعض السـيدات مهمة الرقص حول السيدة، مما يوحى لها ببعض الحركات التى تسـاعد على سهولة الإحساس بالتقلصات وتيسير عملية الولادة، مع عدم إغفال أهمية النغمات المصاحبة للرقص، كما أن خلطة من الملح والشعير والقمح وطمى النيل توضع على تجويف البطن يساعد على تقلصات الولادة وتسهيلها.

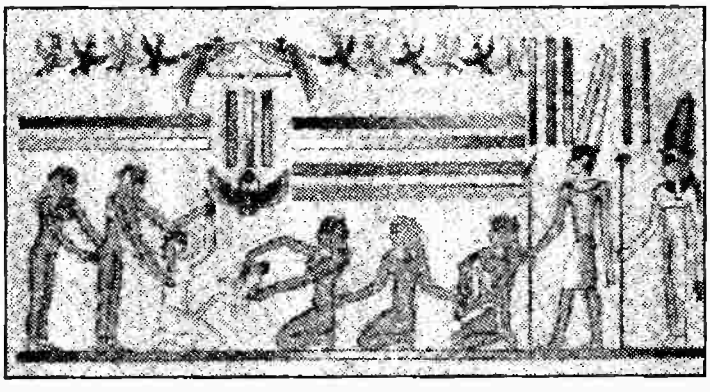

عمليـة ولادة كمـا صورت علـى الجدران وهـى تمثـل ولادة رع التى تقـوم بها ريسـو بمسـاعدة الطبيبـات طبقـا للمعتقد المصـرى القديم

وتدل بعض الدراسات الحديثة على أهمية هذه الممارسات وخاصة الموسيقى والرقص ومؤثراتها فى المرضى بصفة عامة.

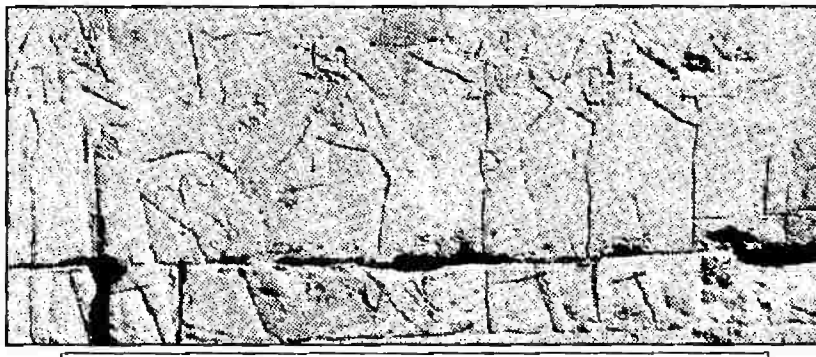

مقبرة عنخ ما حور بسقارة، الأسرة السادسة، القرن ٢٨ ق. م.، وتقوم بعض السيدات بالرقص، وتعتبر بردية كاهون المرجع الرئيسى لحالات الحمل المتنوعة وتسهيل عملية الولادة إذ تحتوى البردية على ١٧ حالة مفصلة لمراحل الحمل والولادة

حجاب، وهى ممارسة ترجع للعصر البطلمى وتمثل حماية بعض الرموز للرحم، ويعرض حاليا فى متحف اللوفر بباريس، بينما يمثل التمثال سيدة تحمل ابنها ويرجع لعصور ما قبل التاريخ.

وذكـرت عملية الولادة وتفاصيلها الدقيقة فى بردية برلين، وقد ألم الطبيب المصرى بالصلة المتواجدة بين الأعضاء التناسـلية والجسـم من الداخل وتأثير انسداد قناتى فالوب فى خصوبة المرأة.

وينصح الطبيب الأم بإرضاع طفلها طبيعيا مدة ثلاث سنوات: «ليس هناك أفضل من لبن الأم».

وفـى حالة عـدم توفره فقط يرضع الطفل لـبن البقر. ولإدرار اللبن يدهن ظهر المرأة التى ترضع بنخاع السمك «يجب أن يكون الطفل آمنا من الأمراض والغرباء وحسد الحاسدين والمياه الملوثة».

أم ترضع طفلها

واعتـبرت تاورت وهى أنثـى فرس النهر حاميـة لعمليات الحمل حيث كانـت العقيدة تسـاند العلم خلال العصـور التاريخية، فاعتقد المصـرى فى قدرة هذه الرموز على الحماية والتيسـير أثناء فترة الحمل والولادة وتحقيق كل ما تتمناه النفس البشرية. وهى فى الواقع ممارسة تتركز فى رغبة الشخص القوية فى الشفاء أو تخفيف الألم أوتحقيق كل ما يتمناه المرء فيقنع ذاته داخليا من خلال اعتقاده فى قدرة هذه الرموز، والرغبة القوية فى الشـىء تساعد على تحقيقه كما أثبته العلم الحديث ويمارسه الفرد أحيانا بقوة الإرادة النابعة من شدة الرغبة.

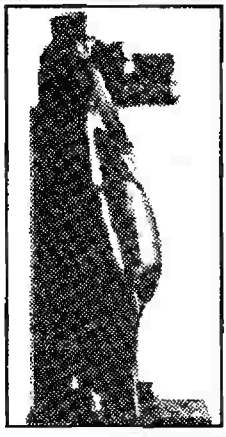

تاورت

يعـرض هذا التمثال لتاورت فـى المتحف المصرى بالقاهرة وهى تجسـد فرس النهـر وهى حامل، ورأس تمسـاح ومخالب أسـد فهـذا الرمز يجمع بـعضا مـن صفـات الحيـوانـات الثلاثة.

واعتبرت بسيشت، ساوت الأسرة الرابعة، أو القرن العشرين ق. م، هى أقدم طبيبة ممارسة ومشـرفة على فريق من الطبيبات كانت تتولى تدريبهن على ممارسـة الطب النسـائى داخل معهد سـايس الطبى، «صا الحجر» الحالية، فكن طبيبات على دراية تامة بالطب النسائى، ولسن قابلات.

وذكرت أمراض النساء بصفة عامة فى عدة برديات يصاحبها الوصفات العلاجية لكل حالة وتطوراتها، كذلك عملية الولادة وتسهيلاتها التى كانت تتم بشكل طبيعى، فكل سيدة على دراية تامة بخطوات الولادة التى غالبا ما تتم فى حضور أفراد العائلة من السيدات اللاتى يساعدن فى العديد من الجوانب، كما ذكرت الأمراض النسائية المتعددة وعلاجاتها.

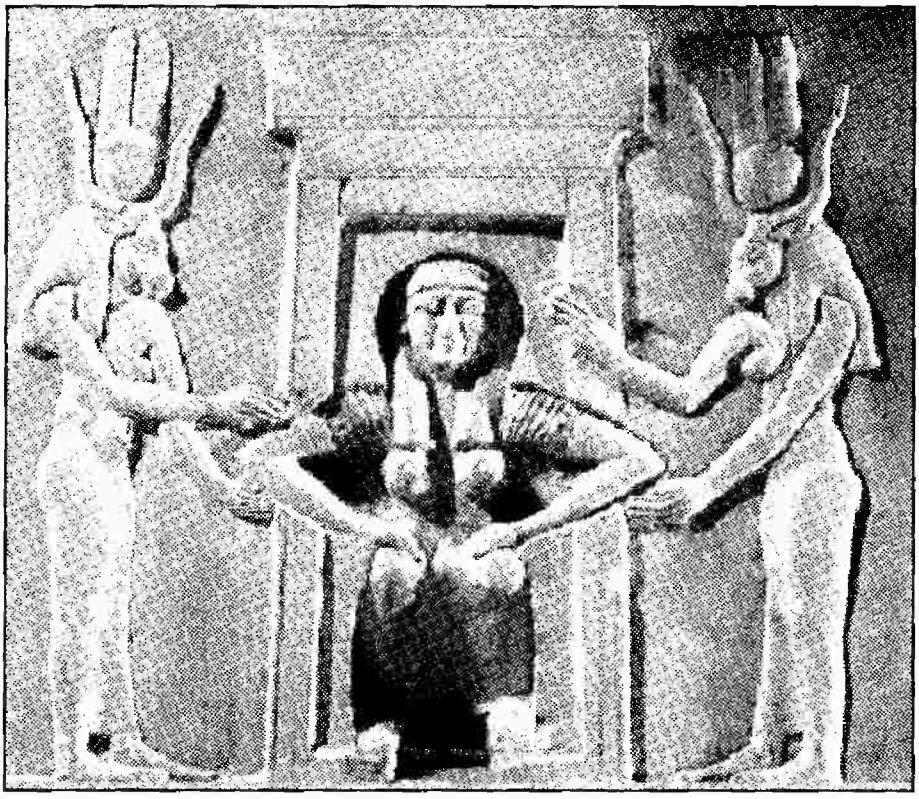

تعرض هذه اللوحة بالمتحف المصرى وتبرز عملية الولادة والسيدة جالسة على الكرسى وتحيط بها تاورت وحتحور طبقا للمعتقد السائد فى حماية هذه الرموز فحتحور هى المعنى المطلق للأمومة.

وتتم عملية الولادة والسيدة جالسة على كرسى الولادة الذى نقش على جدران معبد سوبك بكوم أمبو، وهو كرسى ذو مسندين وفتحة فى الوسط تجلس عليه السيدة ويتلقف الطبيب المولود من خلال هذه الفتحة، وكانت تستند السيدة بقدميها على حجر عادة ما كان ينقش ويزين برسومات دالة على الرغبة فى تسهيل عملية الولادة،واستمرت هذه الممارسة حتى بدايات القرن العشرين الميلادى، واعتبر نزول رأس الجنين ولادة طبيعية.

وتعـرض حاليـاً بعض نماذج كرسـي الـولادة في المتحف الإسـلامي وبيـت الكريتلية، جاير أندرسـون بالقاهرة، إذ إن اسـتعمالاته ظلت قائمة في مصر حتى القرن العشرين لدى الأوساط المصرية الشعبية.

ومـن أهم وصايا الطبيب المولد للسـيدة هو الاعتناء بالرحم بعـد الولادة. فمن المعـروف ارتخاء العضلات أثناء هذه العملية الطبيعية للجسم، مما يؤدى إلى سقوط الرحم. فكانت السـيدة توصى بعمل كمادات سـاخنة تعقم من جهة وتساعد الرحم على اكتساب وضعه الأول «يعود إلى موضعه».

الكتابة الهيروغليفية لكلمة الولادة وهـي ذات دلالـة واضـحـة

تم العثـور علـى هذا الحجر في منزل أحد حـكام المقاطعات ويرجع إلى الدولة الوسـطى، القرن ٢٠ ق. م وقد عثرت عليه بعثة جامعة بنسلفانيا خلال التنقيب في منطقة أبيدوس، والرسـومات التي تحيط بالسـيدة التي تحمل طفلها تهدف إلى حماية كل من الأم والمولود

وتذكـر البردية حالة امرأة تتألم في عنقها وضعفت الرؤية لديها. فيوصى الطبيب، باعتبارها إفرازات رحمية في منطقة العين، بوصف خليط من بخور زيت الكندر وزيت طازج يبخر به الفرج، ثم تبخر العينين برجلي طائر آكل للنحل، الوروار، وتوصى السيدة بأكل كبد الحمار.

وقد شـخص الطب الحديث الحالة على أنها التهاب في القزحية وسـقوط الرحم، وبالتأكيد يمكن للدراسـة الحديثة أن تثبت طبيعة المـواد المتواجدة في مكونات هذا العلاج ومدى تأثيراته في الحالة.

وقد تتدهور الحالة الصحية للمرأة، فتصاب بالتهابات رحمية، فيسأل الطبيب المريضة عن نوع الرائحة المنبعثة منها، فإن أجابت بأن الرائحة مشابهة للحم المشوى، فإنها مصابة بمرض نمسو بالرحم وعليه يوصى الطبيب بتعريضها لرائحة بخور صادرة من اللحم المشوى بأنواعه. وأطلق المصرى القديم لفظ حمت على الرحم وعبر عن الولادة بأنها «خروج من الجسم» كما أطلق على الثدى لفظ هنز.

تاورت

وقد ابتكر الطبيب المصرى القديم اللبوس الذى أوصى باستعماله فى كل من المهبل والدبر وهو مكون من بعض اللفائف المغموسة فى المستحضر الدوائى المراد للجسم امتصاصه، وتستعمله السيدة فى حالات الالتهاب الرحمى أو حالات منع الحمل.

وتعددت الحالات المرضية التى تصيب النساء، ولكن الطبيب المصرى على دراية بها وأوجد لبعض منها العلاجات اللازمة. وقد ذكر فى بردية إيبرز: «إذا فحصت امرأة مرت سنون طويلة ولم تحض وهى تتقيأ ما يشبه الماء وتتألم من بطنها كالتى تتألم من نار، فقل إن هذا صعود الدم من رحمها». وتذكر البردية المحفوظة بمتحف لايدن والمعروفة بالبردية اليونانية وصفة لرفع الدم من المرأة وهى مزيج من الماء والخل تشربه السيدة على الريق صباحا حتى ينقطع الدم.

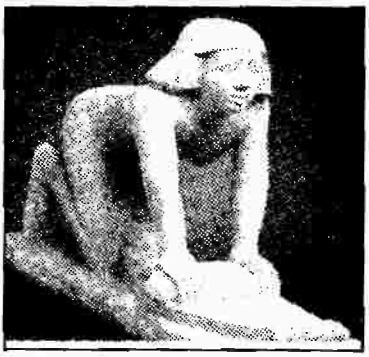

تقوم إحدى السيدات العاملات بعجن الخبز وحركة الجسم تسهل على العضلات الكثير

وعلى صعيد آخر ذكر فى بردية إيبرز علاج سيدة تتألم وتتوجع من كل أعضاء جسدها وتجاويف عينيها أيضا وطلب الطبيب المعلم من الطبيب الممارس تشخيص الحالة على أنها نقص فى الماء وتوصيه بعمل عصيدة تشربها السيدة على مدى أربعة أيام.

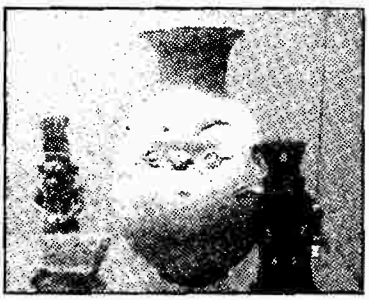

إناء يستعمله الطبيب لتحضير الأدوية المختلفة والتعويذة التى يلجأ لها العامة بحثا عن الحماية والإحساس بالأمان.

وأما السيدة التى تتألم من فرجها، فهو مرض ساو بالرحم، ويعالج بأن تتناول السيدة الدهون حتى تشفى، بينما التى تنام كثيرا، شخص الطبيب حالتها على أنها مغص رحمى أو تقلص رحمى، وعليه فهى مطالبة بشرب سائل خاو ثم تتقيأ لتوها. وقد عولجت بعض حالات الهيستيريا بالمقيآت.

وللسيدة التي تعاني من آلام أثناء التبول عليها أن تتناول خليطا من الفول والأعشاب المصحونة مع البيرة ثم تصوم عن الطعام نهارا كاملا وليلة كاملة حتى موعد إفطار اليوم التالى، ولتخفيف آلام الرحم تجلس السيدة فوق مسحوق من البلح المغموس فى البيرة.

وللشرج المريض لبوس من سائل عشبى يعجن به العشب ويمزج بالعسل، ثم يوضع فى الشرج، فتهدأ الالتهابات، أما إذا تطورت الحالة، فيمزج الشبت بدهن الأوز والعسل، وإذا تطورت أكثر، فحب العرعر المصحون يترك فى ندى الصباح الباكر. وعلاج آخر للحالات الأكثر تدهورا كبريتيد الرصاص مع دهن الوعل وحب الخلة ويصحن الخليط جيدا ويكور لبوسا يدخل فى الشرج بعد أن يتعرض الخليط طوال الليل للندى.

وتشخص البردية حالة سيدة مصابة بألم فى دبرها وعانتها وجذرى فخذها بأنها فضلات رحمية يمزج لها لبن بقرى يطبخ مع بعض مستخلصات أخرى تشربه السيدة على مدى أربعة أيام، ووصفة أخرى لنفس الحالة توصى بحقن المهبل بزيت طازج.

ولانثناء الرحم علاجه أيضا وهوخليط من الصنوبر ونبات السعد تضمد به موضع الألم وتنام عليه، أما من تشعر بانتفاخ فى بطنها وعانتها، فتشرب على مدى أربعة أيام ملكيتاً مصحوناً ناعما ومطبوخاً فى لبن بقرى.

ولعلاج المواضع المؤلمة بصفة عامة، خليط من عدة مواد نباتية وحيوانية ومعدنية تطبخ معا وهى دهن ثور يضاف له رواسب النبيذ والبسلة وكندر وراتنج المر ومعدن صعيدى (سيا)، يدهن الجسم بأكمله ويتعرض المريض لأشعة الشمس، وهذا ما يطبق حديثا عند دهان الجسم بطفلة طينية معينة تحتوى على العديد من المواد الطبيعية يتعرض بعدها الجسم للشمس حتى يجف الخليط.

وتتعدد الوصفات بهدف تخفيف الألم الموضعى يستعمل خلالها مواد متنوعة منها الدهن الحيوانى، برادة النحاس، راتنج المر، الصنوبر، البلح، السنط، الحنظل، الشمع، ملح النطرون، العسل،... إلخ وتحضر هذه المواد كلبخة موضعية يدهن بها موضع الألم لتخفيفه.

وتمكن الطبيب المصرى من رصد حالات التهاب سرطانى فى الرحم كما ذكر فى البردية: «وهذه واحدة أخرى لديها تآكل فى الرحم وبه تقيحات».

وأوردت البردية حالة سيدة تعانى من ألم يبدأ من العانة حتى أسفل الظهر، وشخصها الطبيب على أنها مصابة بدود الأنكلستوما.

والسيدة المتألمة من «عنقها وعانتها وأذنيها فهى لا تسمع كلاما، فقل إنه فزع بالرحم، أى تقلصات شديدة بالمفهوم الحديث»، وتم وصف العلاج اللازم لها.

ويوصى الطبيب بحقن المهبل إما بالعسل المخلوط بملح النطرون، وإما باللبن، وإما بالحنظل، أما بالنسبة لمنع الالتهابات عن الشرج لكل من الرجل والمرأة، فقد أوصى الطبيب بخليط من الزيت والدهن والعسل والملح البحرى ولبن آدمى يحقن به الشرج لمدة أربعة أيام.

وتذكر بردية الرامسيوم حيث عثر عليها: «إذا رأيت امرأة تتألم من فخذها وقدمها، فعلاجها هو الحنظل وجزء من نبات الحلبة يصحن ويمزج جيدا...واجعل المرأة تتبول».

وأبرزت البرديات الوصفات العلاجية بدقة شديدة، ومعظمها يتناوله المريض مدة أربعة أيام، ومصدرها نباتي أو حيواني أو من المعادن، مثل حالات تيبس الركبة التي يصف لها الطبيب مزيجا من معدن الأحمر والراتنج المر يضاف له برادة النحاس وملح النطرون والعسل ويتم طبخ الخليط مع دهن تيس وحشي، وتعمل ضمادة توضع على موضع التيبس، وينطبق هذا العلاج على كل من الرجل والمرأة في حالة تيبس الركبة.

ويحدد فحص الطبيب حالة سيدة تعاني من عدم انتظام الدورة الشهرية: «إذا فحصت امرأة مصابة بألم بأحد جانبي بطنها من أسفل. فقل إنه نتيجة عدم انتظام العادة الشهرية «وقد كان الطبيب على دراية بأن فقر الدم هو أحد المسببات وأن الدورة الشهرية المؤلمة نتيجة لتجلط الدم بعنق الرحم، وذكرت بردية إيبرز النزيف الرحمي وبعض وصفات للإجهاض منها الحرارة كعامل مجهض ولبوس مهبلي من قطران والصنوبر.

وقد أوردت بردية سميث: «إذا فحصت امرأة تتألم من بطنها ولا تخرج منها العادة الشهرية، وكانت مصابة في أعلى عضو التناسل الخارجي. فقل بخصوصها إن الدم محبوس في فرجها «وصف الطبيب لهذه الحالة علاجين أحدهما ظاهري والثاني باطني».

«حضر لها وام، دهن، بيرة عذبة، يطبخ ويشرب لمدة أربعة أيام. والى جانب هذا، حضر لها وصفة طرد الدم: زيت، تبننت أي كمون، كحل أو كبريتيد الرصاص، بخور حلو، امزج معا، وادهن العضو مرارا».

وأوصى الطبيب بوصفة ظاهرية أخرى: «ضع آذان حيوان هزرت، ربما اسم نبات لم يستدل عليه بعد، في مرهم، فإذا نتنت المرأة بعد ذلك، فامسحه وادهن شفرتيها به مرارا، ضع لبان دكر وبخورا بين خاصرتيها ودع الدخان الصاعد يدخل جسمها».

واهتم المصري القديم اهتماما بالغا بالرضاعة ومن هنا اهتمامه بحالة الثدي للأم المرضع وعلاجه موضعيا في حالة إصابته بتشقق في الحلمة أو إصابته بالالتهاب بدهانه بالملح والعسل والسرخس.

وللمريضة المصابة بمرض شفرتي مهبلها «ويقصد الطبيب هنا التهاب المهبل، فعلاجها حقنة مهبلية من الصمغ النشادرى والكندر وعصير السنط والميعة، وهي صمغ نباتي، وشخص الالتهابات على أنها إفرازات رحمية تنصب على المهبل والفرج وأعلى الساقين.

ومن المعتقد لدى المصري القديم، أن الجسم البشري سليم معافى حتى تهاجمه الأمراض، أو يحدث خلل ما يمكن أن ينسب إلى الأرواح الشريرة أحيانا. أو اعتباره عقابا إلهيا في أحيان أخرى، أو سحرا يمارسه أعداء المريض للنيل منه، لذا تنوعت مهام الطبيب لمداواة الجسد والروح أيضا.

فالأرواح الشريرة هى تلك الميكروبات والفيروسات التى أطلق عليها هذا المسمى، والحالة النفسية للمريض لها أهميتها فى العلاج، وعادة ما يلجأ الطبيب للعلاج النفسى إذا ما استعصى عليه العلاج العضوى.

ويمكن تلخيص طب النساء لدى الطبيب المصرى القديم فى معرفته كيفية الكشف على السيدة الحامل لتأكيد حملها وتمكنه من تحديد فترة الحمل الطبيعية بـ ٢٩٤ يوما، بالرغم من وجود نصوص تشير لفترة حمل تتراوح بين ٦ أو ٧ أشهر، مما يؤكد معالجة الطبيب لهذه الحالات والحالات المشابهة.

يقوم أحد الأطباء المتخصصين بتحضير الدواء اللازم للمريض كما ورد على جدران معبد إدفو، وكانت عناصر الدواء مستوحاة من الطبيعة وموادها المختلفة.

وتذكر بردية برلين، ١٣٠٠ ق. م، كيفية تحديد جنس الوليد من خلال بول السيدة الحامل، وقد أثبتت الدراسات والتحاليل الحديثة أن بول الحامل قد يحتوى على مادة تمنع استنبات البذور، وكان أسلوب المصرى القديم مصيبا فى حوالى ٥٠٪ من الحالات.

وذكرت البرديات الخطوات المتبعة فى حالات الولادة، كما ألمَّ الطبيب بالآلام المصاحبة للدورة الشهرية ووصف لها العلاجات المناسبة، وعالج الطبيب باقتدار الحالات المرضية النسائية المتنوعة بالدش المهبلى واللبوس المهبلى والتعريض المباشر للتعقيم من خلال الأبخرة، كما وصفت العلاجات لمنطقة الشرج وهى أيضا لبوس شرجى.

وصف الطبيب لأمراض النساء كل من العلاج الداخلى والظاهرى والحقن المهبلية والحمامات النصفية. ويبدأ الطبيب فى بردياته بذكر المرض، ثم وصفه بإيجاز ووصف أعراضه، ثم يصف العلاج بعد التشخيص، ويعتبر الآثاريون بردية كاهون أو اللاهون زمنيا أقدم البرديات: تليها بردية سميث حوالى ١٦٠٠ ق. م، ثم بردية إيبرز حوالى ١٥٥٠ ق. م التى تتزامن مع بردية هيرست، وترجع بردية برلين لحوالى ١٣٠٠ ق. م. وربما ترجع بردية لندن لحوالى ١٣٥٠ ق. م.

واعتبر الطبيب من خلال معظم البرديات أن أمراض النساء هى نتيجة لتحركات رحمية فى المقام الأول، وهذا ما ورد فى بردية إيبرز بالتحديد.

○ «علاج لإصابة المرأة ببولها: ملح بحرى، مهرت، بيرة عذبة، عسل، يحقن فى دبرها.

ولتبريد الشرج: زيت اهليلج، زيت، ماء ظرت، حنظل، عسل، يحقن فى دبرها.

«الذى يعمل للمرأة التى تفرز سائلا لزجا: كتل من الطين لا تتعرض للشمس، توضع فى حجرة وترش كثيرا بالماء فى المساء». «... واجلب إناء جديدا مليئا بالزيت واجعل المرأة تجلس عليه لمدة أربعة أيام».

○ «لتعرف اللبن الردىء: تجد رائحته مثل رائحة سمك شنى».

○ «لتعرف اللبن الجيد: رائحته مثل رائحة المن هى تقريبا مثلها».

«لرد الرحم لوضعه الطبيعى: نشارة الصنوبر توضع على حثالة ولفه قماش تفرك بها. يطلب من المرأة الجلوس عليها» أو «زيت صخرى castoreum يوضع على عسل ويدهن به الجزء السفلى من البطن». ويطلب من المرأة شرب جلفطة خشب سفينة zopissa يدهن بحثالة بيرة جيدة» «مغرة صفراء (ايدرات أكسيد الحديد)، مر طازج، توضع على عضو التناسل، القماش يبلل بسائل المر ويوضع على الجزء العلوى لعضو التناسل».

○ ولتعقيم الرحم: «غائط إنسان يوضع على بخور تبخر به المرأة، ادخل الدخان الصاعد فى فرجها» «براز جاف مع البيرة، تدهن به أصابع المرأة وتدهن كل أعضائها والجزء المريض بها».

○ «لجعل الرحم يرجع لوضعه: يعمل أبو قردان من شمع ويوضع على فحم ويدخل الدخان الصاعد منه إلى فرجها».

تعمل السيدة وترعى ابنها فى آن واحد

والتعقيم بالبخور من الوسائل العلاجية الناجحة. فقد ثبت حديثا أن للبخور تأثيرا على ميكروبات الجو فتطهره.

وللخصوبة أهميتها فى حياة المصرى القديم، فأوجد علاجا يساعد المرأة فى عملية الولادة: «نياياو، اجعل المرأة تجلس عليها بدون ملابس».

○ «لجعل كل ما فى بطن المرأة ينزل: شقفة من إناء جديد تسحق فى زيت ويسخن. يحقن المزيج فى فرجها».

للمرأة دور رئيسى فى الأسرة، وهى اللبنة الأولى للمجتمع، يتلخص فى عملية الخصوبة والإنجاب ورعاية الأبناء، فهى سيدة المنزل التى تتولى الاهتمام بكل شؤونه.

هذا بخلاف مساندتها لزوجها ومساعدته فى العمل فى الحقل إن كان مزارعا. أو فى التجارة... إلخ

وتنوعت المستحضرات لتذكر وصفة أخرى من:

«نبيذ البلح، ملح بحرى، زيت، يسخن ويؤخذ بمقدار ما تحتمله الأصابع» «لجعل الطفل ينفصل عن أمه: ملح بحرى، حنطة، سوت انتى، يضمد أسفل البطن»، وهنا يشير الطبيب لعملية الولادة. أو يمكن للمرأة تناول بلح صابح مع عسل يصفى ويؤخذ على يوم واحد.

«بسبس، كندر، ميعة styrax، بيرة، حنظل، بلح طازج، براز ذباب، يعمل لبوسا ويدخل فى فرجها، «أو يحقن الفرج بالسبستان مع البيرة» أو «كندر، زيت، يدهن به البطن».

ووصفة أخرى من نيايا، قسنتى، نبيذ يصفى يؤخذ على أربعة أيام» أو لبوس يدخل فى الشرج من فاكهة العرعر، نيايا، قطران الصنوبر».

تثبت هذه الوصفات التدخل الطبى فى عمليات الولادة، وتناقلت هذه المعلومات الطبية للسيدات، فمارسنها باقتدار لمساعدة الحامل على عملية الولادة الطبيعية الناجحة.

ولمنع الإجهاض: بدء أدوية منع الإجهاض الذى يصيبها مع دم. انتظر حتى بدء عادتها الشهرية، دلك بطنها وفخذيها به فإن الإجهاض يمتنع».

طائر عصفور الجنة

كبد عصفور الجنة swallow الجاف يصحن مع سائل لزج من مشروب متخمر، ويوضع على المرأة التى أجهضت، على ثدييها وعلى بطنها وعلى كل أعضائها.

ويختلط العلم بالإيمان مرة أخرى فتتلى رقية للثدى، ولم تمنع هذه الرقى وجود المستحضر الدوائى العلاجى «إنه الثدى الذى مرض لأن إيزيس كانت بمدينة خميس لما وضعت شو وتفنوت، عملت لهما رقية كتانية ثا السنب وبكات السوت وشعر ابت التابع لها والأشياء التى أحضرت لطرد الإصابات التى يحدثها الرجل الميت أو المرأة الميتة... تعمل هذه ملفوفة لفة يسرى a left twisted string، توضع على الأمراض المسببة من رجل ميت أو امرأة متوفية، لا تحدث إفراغا. لا تحدث حكة. لا تحدث دما. احترس من ضعف الإبصار الذى يصيب الرجال. تعمل منه سبع عقدات توضع عليه».

- «علاج للثدى المريض: كلامينا، مرارة الثور، براز ذبابة، مغرة صفراء، يمزج معا ويدهن به الثدى لمدة أربعة أيام».
- وينتقل الطبيب إلى حالة أخرى:

«لإزالة الآلام الروماتيزمية من الرحم، ورق آس يجفف مع حثالة بيرة جيدة. يوضع على عجزها وعلى إقليمها المربض hypogastric region.

«لإدرار اللبن عند المرضع التى ترضع طفلا: عمود فقرى سمكة قشر يحرق فى زيت ويدهن به ظهرها» أو «خبز خنمت الحامض المصنوع من الشعير، جزء من ناره يمزج مع نبات خساو تأكله المرأة وقدماها متصلبتان».

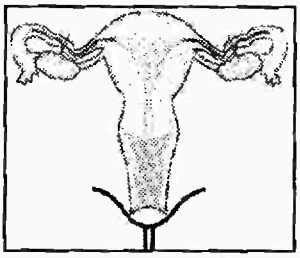

الرحم

«للمريضة بمرض شفرتى مهبلها: ميعة styrax، مغرة صفراء هيدروكسيد الحديد، صمغ نشادرى، عصير السنط، نخاع شوكى الثور، حنيتا أو قش الحصر، يمزج معا ويحقن فى فرجها».

ويستطرد الطبيب المعلم من خلال بردية إيبرز: «لأجل قميت الرحم مع قرحة أكالة فى مهبلها: خبز أور، يصحن فى ماء مع كندر وقسنتى. يحقن به فرجها». ولنفس الغرض: «ملح صابح، عصير سنط، قسنتى، لبن حمار. يترك طوال الليل فى الندى ثم يحقن فى فرجها».

ولتبريد الرحم وطرد الحرقة منه: خلة سلت، شعير هندى، حب العزيز، يصحن فى الزيت، يحقن به فرجها». وهى مواد قابضة للرحم. وعلاج آخر قابض للرحم «حشيش hemp، يصحن فى عسل ويحقن الفرج».

«كنـدر، كرفـس، يصحن ناعما فى لبن بقرى ويصفى من قماش، ثم يحقن فى الفرج». ولمنع النزف الرحمى بصل يمزج مع نبيذ، فلهذه الخلطة مفعول قابض للرحم.

ويرشد الطبيب المعلم الممارس لما يلى:

«إذا فحصـت امـرأة تفرز إفرازا مائيا وراسـبه يشـبه الماء المتجلط، فيجـب أن تقول عنه. إنه تآكل بالرحم حضر له طينا من سقاء يصحن فى عسل وإثمد أو كبريتيد الرصاص، وقماشا من كتان رفيع يدهن به ثم يوضع فى الرحم لمدة أربعة أيام» وإذا ما ساءت الحالة وأصبحت: «المرض الأكال بالرحم الذى يحدث قرحة أكالة فى رحمها: بلح صابح، ساذج هندى Malabathron، حجـر جيرى من الشـاطئ. يصحن فى ماء ويـترك طوال الليل فى الندى ثـم يحقن بالفرج». «الذى يصنع للمرض الخطير، لبن بقرى مغلى. عصير السـنط، قسـنتى، يصحن ويترك طوال الليل فى الندى ثم يحقن بالفرج».

كمـا اهتم الطبيب بالتعرف إلى مدى خصوبة المرأة، إذ ورد فى بردية برلين وصفة: «تنام وتدلك حلمة ثديها وذراعيها إلى الكتفين بدهان جديد، وفى الصباح تنظر، فإن وجدت أوعيتها نضرة لطيفة لم تمتـص الدهان تحت أصابعها، فإنهـا تلد كثيرا، وإن وجدت أوعيتها تهرب مثل الجلد الملتصق بأعضائها فإنها عاقر، وإن وجدت أوعيتها نضرة ورؤيتها مظلمة فهى تلد متأخرة».

ووردت نظرية أخرى ليلجأ إليها الطبيب فى الكشف لتحديد مدى خصوبة المرأة:

«افحص أصابعها بيدك، ثم ارفع يدها وامش مع جسـمها فى جميع أعضائها وأنت ممسـك ناصيتها بأصابعك ويدك تزحف بكل طريقة بذراعها، فإن تباعدت أوعيتها بالداخل تحت يدك،

فإنها ستحمل» ولمن لا تحمل: «بخرها ببذر الخلة فى فرجها ولا تجعلها تأخذ إحليل زوجها، ثم أعطها علاجا يفك العقم، دهن وكرفس وبيرة عذبة، يطبخ ويشرب على أربعة أصبحة».

ولم تمنع هذه الممارسات العلمية من ذكر رقية كى تلد السيدة بسلام: «انزل أيها الخرص، انزل، أنا حورس الذى يناشد الروح كى تتحسن حالة السيدة التى تلد...انظر سوف تضع حتحور حجابا للصحة عليها، فأنا حورس الذى ينقذها!»، تردد أربع مرات مع وضع تمثال صغير للرمز بس على حاجب السيدة التى تلد.

ولا تذكر البرديات المختصة بالطب والعلاج كيفية الولادة أو الخطوات التى تمر بها هذه العملية، ولكن ذكرت فى بردية وستكار التى تسرد جزءا من الأسطورة: «وقفت إيزيس أمام السيدة ونفتيس خلفها بينما حكات تتولى عملية الولادة... اندفع الطفل بين يدى إيزيس، إن عظامه قوية،.. لقد نظفوا الطفل وقطعوا الحبل ابرى، ثم وضعوه فى مرقده الحجرى».

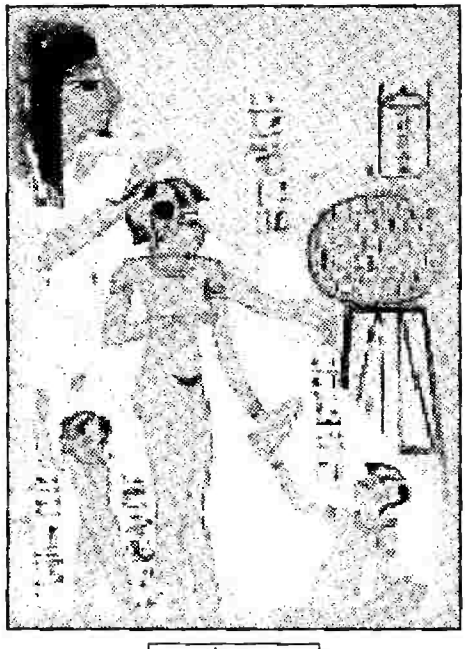

رعاية الأبناء

اعتبر بس رمزا للمرح والحماية للسيدة الحامل ويساعدها على الولادة بسهولة

وكانت سيدات الأسرة يقفن حول السيدة أثناء عملية الولادة يرددن الدعوات: «اجعل قلبها قويا واحفظ الطفل القادم».

ولكون المجتمع منظما إداريا، كان الطفل يسجل فى سجلات بيت الحياة بعد أن يطلق عليه اسمه كما ورد على لسان الأميرة أهورى زوجة نينوفر كا بتاح: «لقد أنجبت هذا الطفل الذى ترونه، وأطلق عليه اسم مراب، ثم سجل اسمه هذا فى سجلات بيت الحياة». وظلت منذ الأزل مهمة الأم رعاية أبنائها والحفاظ عليهم وتأمين حياتهم.

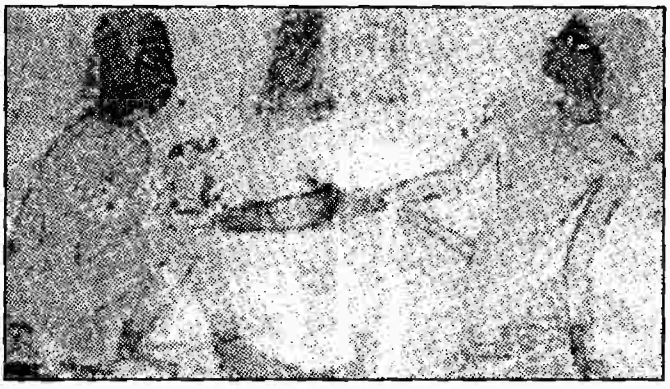

يلعب بعض الصبية تحت إشراف الأم

❑❑❑